القول إنه أجرى صيانة كاملة، ليس بإعادة الغطاء المطاطى. ولكن بفكه المحرك وتركيبه بعد تنظيفه وضبط بعض حركاته وتغيير قطع منه بأجزاء أخرى لم تدر هى كيف حملها. كان خاوى اليدين، ليس معه أى جهاز، أو مفاتيح، كأنه كان يستدعى ما يريد من الفراغ فيلبى!

كان أمامه طريقان للعودة إلى البيت، الأول عادى ومكشوف، أن يترك خللا صغيرا يظهر بعد فترة مما يستدعى الاستعانة به مرة أخرى، أو يبتكر، ضميره لم يسمح له بالأول، كان عليه أن يتوصل إلى حيلة متقنة، تماما كعمل يديه الذى بدا واضحا على وجهها المقدد إعجابها به. وكأنها تتفرج على حاوى.

بعد أن نفض يديه، وتراجع إلى الخلف قليلا، قال إن هذه الثلاجة لا مثيل لها الآن. ولكن سرها فى امتلائها.

ماذا يعنى ذلك؟

لابد أن تمتلىء بالمخزون من الطعام، فيمتص الموجود بالبرودة النافذة، الزائدة، المتدفقة، إن هذا الفراغ يمكنه استيعاب مخزون شهر، تطلعت صامتة، كأن ملامحها قدت من حجر.

لابد أن عزب الميدومى جاهد ليحتفظ بالعديد من الانطباعات التى كتمها ولم يظهرها ولم يفض بها حتى إلى أم أولاده عند خلوتهما. لا يعرف أحد ماذا يمكن أن تنتهى إليه الأمور مع السادة عند حلول خلل ما، غير أن استقرار الصلات والحدود غير المرئية يوفر قدرا من الحماية، لا يمكن تخطى الخطوط الخفية، ويصل الأمر بالإنسان إلى حد الاندماج التام مع ذاته، فعندما يواجه عزب السيدة مثلا، لا يمكن أن يخطر بذهنه